ابن محرز الوهراني صاحب المنام الكبير
سيرته ونتاجه الفكري

أ.محمد صالح (ط.د)
جامعة الونشريسي/ تيسمسيلت

تاريخ الإرسال: 2020/05/30	تاريخ القبول: 18-08-2020

ملخّص:

يتناول هذا المقال حياة الشيخ ركن الدين ابن محرز الوهراني الجزائري، صاحب المنام الكبير الذي تفرد بهذا اللون النثري الجديد في الأدب العربي، نشأ بوهران وتعلم بها، ثم انتقل في رحلة بحث عن التكسب والمكانة اللائقة إلى صقلية فالشام وبغداد ليحط الرحال بمصر زمن الأيوبيين.

وقد شكل الوهراني الذي عُرف بالمغربي المهاجر ظاهرة فريدة في الأدب العربي على عهده من خلال النهج الذي اتبعه في إظهار قدراته اللغوية والأدبية وثقافته الواسعة بالاعتماد على أسلوب الهزل والسخرية في الكتابة فكتب المقامات والمنامات التي تفرد بها عن نظرائه.

الكلمات المفتاحيّة: الوهراني، السيرة، المنام الكبير، النتاج الفكري، المغربي المهاجر.

Abstract:

This article deals with the life of Sheikh Rukn Al-Din Ibn Muhrez Al-Wahrani Al-jazaeri, the owner of the great dream that was unique in this new prose type in Arabic literature. He grew up in Oran and learned learned there, then he went on a journey in search of gain and improving status to Sicily, levant, and Baghdad to land in Egypt during the time of the Ayyubids.

Al-Wahrani, who was known as the Muhajir al-Muhajirib, was a unique phenomenon in Arabic literature during his reign through his approach to showing his linguistic, literary, and broad cultural abilities by relying on humor and irony in writing. He wrote books, shrines, and dreams that distinguished him from his peers.

Key words: Al-Wahrani, Curriculum, big dreams, Intellectual output, Moroccan immigrant.

البحث:

1. مقدمة:

يُعدّ ابن محرز الوهراني أحد الأدباء الجزائريين المرموقين ممن ذاع صيتهم وعلا ذكرهم لدى أهل العلم والثقافة، لما اشتهر به من مكانة علمية وأدب جم خاصة بالمشرق، برع في الفن النثري فابتدع فن المنامات الأدبية التي نالت شهرة كبيرة، كان كثير التنقل والترحال بين الأمصار، اعتبره البعض عميد الكتابة في الأدب على عهد الموحدين، باعتباره أهم الشخصيات والأسماء البارزة في الإبداع والكتابة التي حفل بها الأدب الجزائري القديم، فمن هو ابن محرز الوهراني؟ وماهي نتاجاته ومؤلفاته؟ وكيف تناوله الكتاب والنقاد في كتاباتهم؟

2. الوهراني نسبه وحياته:

لم تذكر كتب الأدب والتاريخ شيئا عن تاريخ ميلاده الذي لايزال مجهولا، لكنه عاش في القرن السادس الهجري، فكان اهتمام الكتاب بنسبه ومؤلفاته أكثر من اهتمامهم بمولده، يعود «نسبه لوهران الكبرى إحدى مدن الغرب الجزائري، الفقيه الحافظ المقرئ الشاعر الأديب الظريف رحل على عادة أدباء زمانه إلى المشرق، فأقام بدمشق حينا ثم انتقل إلى مصر»[1]

وذكره يحي بوعزيز بالعالم الأديب "أبو عبد الله بن محمد بن محرز بن محمد الوهراني، عالم جزائري عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ولا ندري بالضبط السنة التي ولد فيها"[2] ورغم نسبه لمدينة وهران إلا أنه لا يُعرف هل هو منها بالذات أو من إحدى القرى المجاورة لها،

[1] – ركن الدين بن محرز الوهراني، منامات الوهراني وحكاياته، تح: د. منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص17

[2] – يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1، 1995، ص 183.

"حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، أو بعضا منه، لا ندري، ودرس وتعلم العلوم والمعارف العربية والإسلامية الدينية واللغوية كما يدل على ذلك انتاجه الأدبي المتنوع، والعزيز، والبليغ"[3]

ورغم نبوغه العلمي وطموحه الكبير لم تتحدث المصادر التي ترجمت له عن نشاطه، في وهران مسقط رأسه، ولا عن تنقله إلى مدن وعواصم المغرب الإسلامي والأندلس للدراسة وطلب العلم كبقية العلماء، قبل تنقله إلى الشام ومصر.

أما عادل نويهض فعرفه بأنه «محمد بن محرز الوهراني ركن الدين أبو عبد الله أديب صناعته الإنشاء كان بارعا في الهزل والسخرية، نشأ بوهران ورحل إلى المشرق فمر بصقلية، دخل دمشق في عهد نور الدين محمود بن زنكي ثم زار بغداد وعاد إلى دمشق فولي خطابة جامع داريا، زار القاهرة في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي فلقي القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني وغيرهما، وعاد إلى داريا وتوفي فيها»[4].

1.2 هجرة الوهراني إلى المشرق:

هاجر الوهراني رفقة عائلته إلى صقلية، فعاش فيها فترة من الزمن مكابدا عناء العيش بها، رغم وصوله إليها وهي في حالة الاستقرار، حيث يقول في افتتاحية المقامة الصقلية: "دخلت مدينة صقلية في الأيام المتولية فرأيتها محافل الأوصاف على طريق الإنصاف فعشقها شيطاني فأقمتها مقام أوطاني..."[5]، ولما ساء الحال بها وساد الصراع والتناحر بها واضطربت أحوالها، رحل الوهراني لمدينة دمشق زمن حكم السلطان نور الدين الذي عُرف عنه اهتمامه بالمغاربة لكون أغلبهم كانوا يقصدون الشام للجهاد، و«المؤكد أن الشيخ الوهراني وصل دمشق زمن حكم السلطان نور الدين لها ما بين عام 549هـ وعام 569هـ وفقا لرسالة جامع دمشق، وكانت الشام وقتها محط أنظار

[3] – يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 183.

[4] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 350

[5] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح: ابراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، ط1، كولونيا، ألمانيا، 1998، ص 219

المغاربة يقصدونها لأسباب عدة... »[6]، وبها حصل على وظيفة متواضعة في جامعها الأموي الكبير، لم يحصل خلالها الوهراني على مراده والطموح يحدوه إلى أفضل من ذلك، فيمم الوجهة إلى القاهرة « طامعا في اليسار والغنى، فوصل إلى القاهرة كالعاشر من خيول الحلبة كما قال في مطلع رسالته عن أسعار الأدب»[7].

وصل الوهراني إلى القاهرة بعد تولي صلاح الدين الأيوبي وزارة الدولة الفاطمية عام 564هـ، وبسبب تردي الأوضاع بمصر ويأسه من التكسب بالأدب وبعد عام سافر إلى بغداد567هـ مثلما يذكر ذلك المحقق منذر الحايك[8]، فقد كان يأمل الوهراني في لقاء وزير الخليفة المستضيء، ليوصل إليه المقامة البغدادية لنيل جزيل العطاء، لكنه لم يفلح في مقابلته وناب عنه صاحب ديوانه، الذي أكرم الوهراني وصرفه، ويذكر الباحث علاء الدين محمد رشيد "أن الوهراني زار بغداد وجالس العلماء والأدباء، ومنها ذهب إلى الحج كعادة أغلب القادمين إلى المشرق، وأدى المناسك المطلوبة..."[9] .

وهو ما ذكره الوهراني في مقامته البغدادية يصف بغداد المحروسة حين قال: "لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاق الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته واستمطرت راحته، ولا بوزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه، ولا بقاض إلا أخذت سببه وأفرغت جيبه، فتقلبت بي الأعصار، وتقاذفت بي

[6] – بن محرز الوهراني، المرجع نفسه، ص 17

[7] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح: ابراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، ط1، كولونيا، ألمانيا، 1998، ص 114

[8] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، منامات الوهراني وحكاياته، ص18

[9] – علاء الدين محمد رشيد، المنامات لون نثري في الأدب العربي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج19، ع7، جويلية 2012، ص325

الأمصار، حتى قربت من العراق، وقد سئمت من الفراق، فقصدت مدينة السلام لأقضي حجة الإسلام فدخلتها بعد مقاساة الضرر ومكابدة العيش المر ... وجلست أنتظر أيام الحج"[10]

عاد مرة ثانية إلى مصر، أين استقر في مدينة القاهرة وطَمح في الالتحاق بديوان الإنشاء ككاتب نظرا لعمق ثقافته اللغوية والأدبية، حيث كان يأمل أن يكون أحد كُتابه، لكنه اصطدم بفطاحل من الكتاب والبلغاء بهذا الديوان فأدرك أنه ليس من طبقتهم، فلجأ إلى طريق آخر لإظهار قدراته فاهتدى إلى أسلوب الهزل والسخرية في الكتابة فكتب المنامات والمقامات التي لا يضاهيه فيها أحد، وذكر ذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان بأنه «أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب وتلك الحلبة عَلِم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه»[11]

ويضيف ابن خلكان «ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا، وتولى الخطابة بداريا وهي قرية على باب دمشق في الغوطة، وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة بداريا، رحمه الله تعالى، ودفن على باب تربة الشيخ[12] أبي سليمان الداراني»[13].

[10] – بن محرز الوهراني، المصدر السابق، ص1

[11] – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح: يوسف ومريم طويل، دار الكتب العلمية، ج4، د. ط، 2012، ص185

[12] – الشيخ أبو سليمان الداراني: عبد الرحمن بن أحمد العنسي، تابعي من أهل داريا، ولد 140 هـ وتوفي 215هـ.

[13] – ابن خلكان، المصدر السابق، ص186

عاش الوهراني حياة ميسورة الحال باحثا عن المجد و التكسب فهاجر من وهران إلى القيروان فصقلية ثم إلى الشام ومصر فبغداد ثم العودة مرة ثانية إلى مصر متنقلا بين هاته الأمصار طارقا أبواب الأمراء والوزراء، بضاعته في ذلك الأدب والشعر، خالط الكثير من رجالات المشرق فكان معارفه من أكابر القوم، كما امتهن تجارة الخشب بحسب رسالته "تجارة الخشب" التي كتبها يشرح فيها حاله مع ابن بنان، ويحث نفسه على المروءة التي تأتي من حفظ المال وتثميره، أما حياته العائلية فذكرت بعض الكتب أن الوهراني سار بأهله خلال رحلته نحو المشرق وكان له ولد توفي وهو صغير وابنة زوجها لشاب مصري أثناء استقراره بها، وفي هذا يقول: "وأما أخبار الوهراني فهو بحمد الله في عافية هو ومن عنده، وكان قد زوج ابنته في رأس هذه السنة بشاب من أبناء المصريين، ابن أخت زوجة القطب القاضي قليوب"[14].

2.2 وهم ابن خلكان في وفاته بدمشق:

لكن لابد من الإشارة إلى أن الباحث منذر الحايك يؤكد أن الوهراني كان بمصر منذ عام 568هـ ولم يغادرها وعاش فيها إلى غاية وفاته، وأن ابن خلكان[15] وقع في وهم في ترجمته للوهراني، خاصة روايته عن وفاته التي يحددها بعام 575هـ نقلا عن القاضي الفاضل، ويدلل على ذلك بعدة حجج منها[16]: "أن الوهراني ذكر وفاة نجم الدين أيوب في رسالته إلى ابن مصال ضمن رسالة الكلب عام 568هـ، كما أورد خبر غزو وهجوم الأسطول الصقلي على الإسكندرية ضمن أخبار مصر في رسالته إلى ابن النقاش عام 569هـ، مع حديث الوهراني عن هزيمة تقي الدين

[14] – بن محرز الوهراني، المصدر السابق، ص 194

[15] – قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان يكنى "أبا العباس" مؤرخ وقاض وأديب يعد من أعلام مدينة دمشق، صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو أشهر كتب التراجم العربية، ولد في أربيل الدولة العباسية سنة 608 هـ/1211 م لأسرة تنحدر من البرامكة. عاش واستقر في دمشق، نبغ في الأحكام والفقه وأصول الدين وعلومه، ولاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعزل بعد عشر سنين. تولى التدريس في مدارس دمشق وكان من الأعلام، وتوفي ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق سنة 681 هـ/1282 م.

[16] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع السابق، ص20

لعسكر قلج أرسلان عام 575هـ في رسالته إلى تقي الدين عمر يصف له أحوال المحون بمصر"، "ولم يحدث بعده من الأمور ما يجب إعلامه سوى ما حدث من موت المولى الأفضل[17] قدس الله روحه، وانقطاع الظهر لانقطاعه..."[18]

ويذكر الوهراني في رسالته إلى البدر صاحب ضياء الدين ابن الشهرزوري والتي سماها منذر الحايك الرسالة الكبرى أو عجائب أخبار مصر، العديد من الحوادث التي تؤكد مكوثه بها ومعرفته بأخبارها عن قرب ودراية والتي نورد منها:"...قد شرع يخبركم بأخبار ديار مصر جميعها...احترق نيل مصر (انخفض مستوى مياهه) في هذه السنة إلى حد ما انتهى قط إليه"[19]، ويشير كذلك إلى الحملة العسكرية لملك صقلية على مصر حيث يقول "وكان قد وصل إلى ثغر الاسكندرية أربعون شينيا[20]، فلما أشرفوا على البلد ورأوا كثرة من خرج إليهم انصرفوا راجعين"[21]، ويضيف في الرسالة ذكر العديد من الحوادث ومنها أيضا "وُليَّ القاضي صدر الدين الأحباس في أول ذي الحجة من سنة أربع وسبعين وخمسمائة..." [22] وهو ما يؤكد بوضوح أن ابن محرز الوهراني كان بمصر عام 574هـ، أي قبل وفاته بعام بحسب رواية ابن خلكان.

أما خبر ورود وفاته بدمشق في سابع عشر رجب 575هـ، "فبحسب ما ترك الوهراني من نصوص لم يشر أبدا لعودته لدمشق، بل بالعكس فكل ما لدينا يشير إلى أنه استمر مقيما في

[17] – الأفضل: هو نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين توفي عام 568هـ بعد خروجه من باب النصر في القاهرة.

[18] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع السابق، ص149

[19] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص ص 185-186

[20] – شينيا: سفينة كبيرة، ويتحدث الزهراني هنا عن حملة وليام الثاني ملك صقلية عام 569هـ التي انتصر فيها أهل الاسكندرية

[21] – بن محرز الوهراني، المصدر السابق، ص 187

[22] – بن محرز الوهراني، المصدر نفسه، ص 190

مصر..."[23]، بل إن الوهراني كتب عن حدث عام 575هـ برسالة أرسلها إلى الشام وهو بمصر، "وتأكدنا من أنه وضع تاريخا لعقد إيجار هو عام 585هـ"،[24]وهو عقد إيجار لحبيب كما سماه الوهراني، حيث وضع نصا لعقد إيجار بين محب و محبوب أما المؤجر فهو القلب، وجاء في نص العقد "...وبذلك أشهدا على أنفسهما المؤجر والمستأجر في صحة منهما وسلامة، في السبوبات بالميدان الأخضر، سنة خمس وثمانين وخمسمائة"،[25] وهو ما يعطي الاعتقاد حسب المحقق منذر الحايك بأن الوهراني عاش لعام 585هـ وربما لما بعده.

ومما يزيد في الشك في حقيقة وجود ابن محرز الوهراني في الشام ووفاته بها في داريا التي ذُكر بأنه تولى الخطابة بها، هو أن الوهراني لم يذكر في كتاباته داريا أو جامعها، ولا لعمله بالخطابة، وإنما ذكر جامع دمشق الذي تذكره كتب التاريخ بأنه الجامع الأموي، وهذا في رسالة الوهراني إلى الأمير بن مصال حيث يقول: "يا سيدي كان للخادم في جامع دمشق جامكية [26] يأخذها في كل من المسجد والسُبع والحلقة يقيم بذلك أوده، ويستعين بها على تكاليف الزمان، فترك ذلك القليل، وجاء هاهنا طمعا في الكثير...يا سيدي النحس نحس هاهنا و في طرابلس الشام"[27]

كما أثار منذر الحايك التباسا أخر وقع فيه ابن خلكان الذي قال بأنه اختلط عليه وهرانيان، الأصغر منهما هو خطيب داريا، الذي ربما هو المقصود بالوفاة بها، وابن محرز الوهراني، والذي ترجم له الصفدي (الوهراني الأصغر) في كتابه وفيات الأعيان بقوله: "أبوبكر بن علي بن عبد الله

[23] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع السابق، ص21

[24] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع السابق، ص21

[25] – ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع نفسه، ص 51

[26] – جامكية الوهراني لثلاث مهام يقوم بها في الجامع الأموي، واحدة في خدمات الجامع كالإقامة وغيرها، والثانية لقراءة القرآن، والثالثة عقد حلقة تدريس ضمن القسم الغربي من المسجد حيث كان يدرس الفقه المالكي.

[27] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص 209

بن المبارك المفسر خطيب داريا الوهراني، فاضل صنف تفسيرا وشرح أبيات الجمل وله نظم توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وستة مائه"[28].

3.نتاج الوهراني الفكري ومؤلفاته:

لم يترك الوهراني الكثير من المؤلفات فجل ما تركه من آثار أدبية فكرية عبارة عن أوراق ورسائل كانت متداولة بكثرة بين أيدي الناس جمعت من هنا وهناك حملت عناوين مختلفة "وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس"[29]، قال عنها يحي بوعزيز "وخلف لنا مجموعة لا بأس بها من الآثار الأدبية المكتوبة في شكل رسائل، ومقامات، ومنامات ورقاع، جمعت كلها أو جلها في حياته، أو بعد مماته لا ندري، وتحمل عناوين مختلفة أحيانا: "رسائل الوهراني"، وأحيانا "منامات الوهراني" وأحيانا: "مقامات الوهراني" وأحيانا: "منشآت الوهراني" وأحيانا: "دليل الترسل" وأحيانا: "جليس كل ظريف وهراني"[30]، أما الزركلي في كتابه الأعلام فذكر: "له الرسائل مخطوطة في تسعة كراريس، تعرف بمنشآت الوهراني، ورقعة عن مساجد دمشق مطبوعة، والمنامات مطبوعة".

وهذه الأعمال كانت عبارة عن مخطوطات موزعة على ثلاث نسخ وهي: نسخة بمكتبة أيا صوفيا باستانبول مؤلفة من 204 لوحة تحت رقم 4299، تحمل عنوان "مقامات الوهراني"، ونسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة عدد لوحاتها 94 تحت رقم 24 أدب وعنوانها "رسائل الوهراني" ونسخة بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا حملت عنوان "كتاب جليس كل ظريف للوهراني" عدد لوحاتها 52 تحت رقم 97، وهي مجموعة رسائل ومقامات ومنامات تشتمل على نصوص الوهراني قام بجمعها وتحقيقها الباحثان ابراهيم شعلان ومحمد نغش تحت عنوان "منامات

[28] – ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع السابق، ص 22

[29] – ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع نفسه، ص22

[30] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2، 1995، ص 187

الوهراني ومقاماته و رسائله" وقد راجع هذا الكتاب الباحث عبد العزيز الأهواني وصدر لأول مرة 1968 بالقاهرة عن دار الكاتب العربي، ثم أعيد تصويره من قبل دار الجمل بألمانيا عام 1998.

ويضم كتاب "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" 44 نصا منها نص المقامة البغدادية مكرر وهي موزعة ما بين منام ومقامة ورسالة تختلف من حيث الطول والقصر، أما الباحث منذر الحايك فقد قام بتحقيق نصوص الوهراني وفق إخراج علمي دقيق، مع تقديم شروحات لازمة دون تطويل أو ذكر فهارس مثقلة، حيث صدر الكتاب عن دار صفحات للدراسات والنشر في 248 صفحة تحت عنوان "منامات الوهراني وحكاياته" ضم 45 طرسا ما بين منام ومقامة ورسائل، كما ذكر صلاح الدين الصفدي أثرا آخر للوهراني بعنوان "دليل الترسل"[31]، دون أن نهمل وجود بعض الكتب الأخرى التي ضمت بين طياتها كتابات للوهراني مثل كتاب "الكنز المدفون والفلك المشحون" المنسوب للسيوطي، الذي يحتوي أشهر رسائل الوهراني الموسومة بـ"رسالة على لسان الشيخ زكي الدين الوهراني للأمير عز الدين الموسك".

كما أشار الوهراني إلى كتابه عن أخبار بغداد عرف باسم "التاريخ بأخبار بغداد" كتبه 555هـ يتضمن أحداثا كثيرة "...غاية التأكيد في أخذ أخبار بغداد من المؤرخ بها في هذا الزمان من سنة خمس وخمسين وخمسمائة إلى هذا اليوم، فإنه أحكم أمر التاريخ الذي عمله، وجاء عجب من العجائب، شيء لا كالأشياء، لم يسلك أحد طريقه..."[32]، إلى جانب ذلك حقق الباحث صلاح الدين المنجد رحمه الله كتابا للوهراني حمل اسم "الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق" معتمدا على نسخة "برنستون" صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1965 ويقع هذا الكتاب في 30 صفحة.

[31] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ص 189

[32] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص ص 196-197

والوهراني في رصيده قرابة ثلاث وثلاثين رسالة، تنوعت نماذجها التي عالجت موضوعات مختلفة، منها الديوانية والإخوانية، استخدم فيها الهزل والسخرية واتباع الأخبار في مراسلته للأمراء والسلاطين والقضاة ومن كان على صلة بهم من أصحاب الحل والعقد، تحدث من خلالها على لسان الحيوانات فكتب على لسان بغلته إلى الأمير "عز الدين موسك" وكتب رسالة في الطير ذكر فيها محاسن كل ذي جناح وفضله على الإنسان والطبيعة، كما كتب على لسان الجماد، فجعل جامع دمشق لسان حال مساجد دمشق وما حولها و حدث باسم المئذنة فكتب على لسانها خُطبة على لسان قاضي القضاة...

أما عن المقامات التي كتبها فهي ثلاث مقامات: المقامة البغدادية[33] التي وصف فيها رحلته إلى بغداد والمدينة ومدح الخليفة، ومقامة في شمس الخلافة[34] على لسان علي بن حماد الصقلي، والمقامة الصقلية[35]

أما المنام الكبير: وهو عبارة عن "رسالة كتبها الشيخ الوهراني لصديقه الحافظ جمال الدين العليمي، ردا على رسالة سابقة منه يعاتب الوهراني فيها، فجاءت جوابا مطولا متضمنا مشهد يوم القيامة في منام كبير"[36] ويقع في أربع وأربعين صفحة، "ومنامه الكبير الذي سار فيه على غرار أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، فتصور نفسه ميتا، وبعث إلى يوم الحشر، والتقى هناك بالعلماء والفقهاء والشعراء، والملوك والأمراء والخلفاء والوزراء والمتصوفين وتحاور مع البعض منهم ووصف

[33] – المقامة البغدادية هي على نسختين في كتاب "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" النسخة الأولى من ص1إلى ص9، أما النسخة الثانية بعنوان "رب يسر وأعن" من ص 10 إلى ص 16 وقد وردت في مخطوطة برنستون.

[34] – مقامة شمس الخلافة وردت "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" من ص 97 إلى ص 102

[35] – المقامة الصقلية وردت في "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" من ص 219 إلى ص 221

[36] – ركن الدين بن محرز الوهراني، منامات الوهراني وحكاياته، ص 215

أحوال وأوضاع آخرين بأسلوبه الناقد والساخر، والغامض والغريب مع خفة الروح وطرافتها على عكس أسلوب المعري الذي يمتاز بالجدية والصراحة والميل إلى أفكار المتصوفين"[37].

4. التناول النقدي لأدب الوهراني:

ما من شك في أن الوهراني شكل ظاهرة فريدة في الأدب العربي على عهده من خلال النهج الذي اتبعه في إظهار قدراته اللغوية والأدبية وثقافته الواسعة بالاعتماد على أسلوب الهزل والسخرية في الكتابة فكتب المنامات والمقامات التي أبدع فيها، "وفي كل ذلك كان الوهراني يغطي منتهى الجد بمنتهى الهزل والسخرية، إنها سخرية تدفع أولا إلى الضحك ثم إلى تفكير يعقبه حزن عميق"[38]

هاته السخرية والمنحى الجديد الذي ابتدعه الوهراني في زمانه، جعل الإقبال على كتاباته كبيرا وهو ما يؤكده ابن خلكان في كون أدب الوهراني كان رائجا ومطلوبا بين أيدي الناس، نتيجة الأسلوب الساخر الذي انتهجه في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية وتصديه لقضايا المجتمع التي يتجنبها الأدباء عادة، فشهَّر بكبار علماء وأدباء وفقهاء وقضاة وأطباء عصره، وفضحهم وكشف تلاعبهم وفسادهم "فكشف العديد من الأمراض الاجتماعية كالرشوة واغتصاب المال العام والزنا وجلسات المجون التي كان يشارك فيها قضاة وأمراء وتجار"[39]، حيث لم يسلم من نقده وسخريته أحد فقد كان مسلطا على الجميع فسال قلمه نقدا لاذعا لكل من حوله، وكان صاحب دعابة ومزاح، خفيف الروح مقبول الكلام، قال عنه الباحث صلاح الدين المنجد "هو ثاني اثنين سلطهما الله على أهل دمشق أيام الأيوبيين، ابن عنين في مقراض الأعراض شعرا، وهو في رسائله ومناماته نثرا"[40]، فقد جاءت كتاباته عفوية تشع حيوية، وفق أسلوب نثري مرسل ضاهى فيه سجع المقامات وكتاب القرن الرابع للهجرة.

[37] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ص 190
[38] – ركن الدين بن محرز الوهراني، منامات الوهراني وحكاياته، ص 27
[39] – ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع نفسه، ص 25
[40] – ركن الدين بن محرز الوهراني، المرجع نفسه، ص 24

من هنا نجد أن الوهراني أبدع في كتاباته بشكل جعلته من كبار أدباء زمانه ولعل أحسن ما تفرد فيه فن المنامات الذي تتخلله أبيات شعرية من نظمه ومن نظم غيره، خاصة منامه الكبير فقد "ابتدع الوهراني فن المنامات الأدبية، وقد شُهر منامه الكبير الذي حاكى فيه أبا العلاء المعري في رسالة الغفران، قال ابن خلكان "ولو لم يكن فيه إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته"[41].

فمنامه الكبير على طوله جمع فيه ألوانا من الأدب والمزاح، يصور فيه الوهراني أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت، وإذ بمنادٍ ينادي: هلموا إلى العرض الأكبر، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، والتقى هناك كثير ممن عرفهم وعاصرهم، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه...

قال عنه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات "والمنام الذي عمله سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، لكنه ألطف مقصدا وأعذب عبارة"[42]، أما نهجه في كتاباته فقد "نهج الوهراني في رسائله منهج رسائل الجاحظ، وفي مقاماته سار على نهج بديع الزمان الهمداني، فاستخدم اسم عيسى بن حماد كراوية له تقريبا منه لاسم عيسى بن هشام راوية مقامات الهمداني في مقامة العلافة وشمس الخلافة"[43]

ويذهب يحي بوعزيز إلى ضرورة إظهار ونشر أدب الوهراني، لما يتميز به من عمق بلاغي، وأسلوب ساخر، مشيرا إلى أن ما فعله ابراهيم شعلان ومحمد نغش، أماط اللثام عن أدبه وآثاره "الجهد الذي بذلاه في الكشف عن آثار الوهراني وإبرازها ونشرها، إثراء لأدب المقامة، والإنشاء الساخر، والأسلوب الهزلي بما فيه من العمق البلاغي، والألفاظ النابية، والسخيفة والأفكار المبتذلة والصفة أحيانا."[44]

ويذهب الباحث عبد العزيز الأهواني في تصديره لكتاب شعلان ونغش ليؤكد على المكانة العلمية التي تتميز بها المصنفات النثرية للوهراني "وبعد فإن هذه المجموعة من النصوص تمتاز في

[41] – عبد القادر مغدير، الوهراني ومناماته، موقع مكتبتنا العربية، أطلع عليه يوم: 2019/12/19، http://almaktabah.net/vb/showthread.php?%20t=30049.

[42] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 350

[43] – ينظر: ركن الدين بن محرز الوهراني، منامات الوهراني وحكاياته، ص 31

[44] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ص 187

تَاريخ النّثر الفنيّ في الأدب العَربي بميزات ترفعها إلى مقام عال، ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب (...) وأسلوبه يُضيف إلى النثر العربي ثروة ويفتح للدّارسين آفاقا ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربي"[45].

وصفه الذهبي بأنه "صاحب دعابة ومزاح" وقال الصفدي "ما سلم من شر لسانه أحد ممن عاصره" له "جليس كل ظريف"[46]، أما عمر بن قينة فقال: "إن إبداع ابن محرز الوهراني جدير بالتقدير، لأنه أسهم في إعطاء دفع متميز للأسلوب في الأدب العربي"[47]، في حين يؤكد عبد القادر بوعرفة أن الوهراني اتبع أسلوب السخرية كفن أدبي يثبت من خلاله الكينونة المخذولة، وفي الوقت نفسه وسيلة للدفاع واتقاء أشباه الأدباء والفقهاء، وقد نجح في زرع الخوف في نفوسهم" معتبرا "أن النقد اللاذع الذي اتبعه كوسيلة من وسائل الإصلاح سواء بالتصريح أو التلميح."[48]

5. الخاتمة:

يبقى ابن محرز الوهراني أحد أعمدة الأدب الجزائري القديم، الذي أبدع في كتاباته بشكل جعلته من كبار أدباء زمانه ولعل أحسن ما تفرد فيه فن المنامات الذي ابتدعه وهو في ذلك يضاهي رسالة الغفران للمعري خاصة منامه الكبير.

فقد شهد له الجميع بمقدرته اللغوية والأدبية وسعة ثقافته واطلاعه على باقي العلوم مما ممكنه من الإجادة والتمكن في بث أدبه ورسائله التي تهدف إلى إبراز تلك الظواهر الاجتماعية التي عصفت بالمجتمع وتعرية الواقع وكشف تلك المعايب التي انتشرت في عصره وفضحها على رؤوس الأشهاد، بهدف الإصلاح والتحذير منها في قالب تهمكي هزلي ساخر وبأسلوب نقدي لاذع لم

[45] – بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص(و).

[46] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 350

[47] – ينظر: عمر بن قينة، المقامة في الأدب العربي الجزائري، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ع12، 2000، ص 260

[48] – ينظر: عبد القادر بوعرفة، فلسفة النقد والسخرية للوهراني، موقع أنطولوجيا، أطلع عليه يوم 2020/01/29 http://alantologia.com/page/19489/

يسلم منه أحد، زاوج خلالها بين الشعر والنثر لرصد تلك الظواهر ومحاولة تصحيحها وفق منطقه الخاص.